بسم الله الرحمن الرحيم

الخوف عباده قلبيه، من أنفع عبادات القلب، وأبلغها أثراً على سلوك العبد وحاله، وهي من أعلى منازل العبودية، واجبة على كل مؤمن بالله واليوم الآخر.

ومن أجل صور الخوف: الخوف من الله وعظمته وكبريائه وسلطانه، الخوف الذي يحدثه استشعار قلب المؤمن لصفات العظمة لله تعالى، وصفات الجلال والكمال والسلطان والعزة والعلو والقوة والقهر والغلبة والانتقام والغضب والغيرة وشدة البطش وسرعة العقاب، وغيرها، قال تعالى: ((وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))، وقال: ((وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ)).

وهناك مخاوف أخرى، خوفنا الله تبارك وتعالى ورسوله منها:

١-خوفنا من الموت وسكرته وشدته ((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)).

وخوفنا صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وفتنته، وأمرنا في نهاية كل صلاة: ((بالتعوذِ مِن عذابِ القبرِ ومِن فتنةِ المحيا والممات)).

٢-خوفنا الله من يوم القيامة فقال: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ}، {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ}، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}، والقارئ لكتاب الله تعالى يرى أنه سمى الله القيامة بأسماء مخيفة مرعبة للقلوب المؤمنة الحية.

٣-خوفنا جل وعلا من النار وحرها وعذابها فقال:{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} ووصفها بأوصاف مخيفة، وأمرنا أن نتقيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ}.

وأكمل أحوال المؤمن أن يورد على قلبه هذه المخاوف كلها، دون قنوط من رحمة الله، ولا يأس من روح الله، حتى يسمع قول ربه له مع جموع المؤمنين الخائفين: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ}

حقيقة الخوف من الله: ارتجاف القلب وفزعه وفراره إلى الله، وله مراتب.

١- الوجل، قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} ويكون مع الوجل اضطراب في القلب، وربما قشعريرة في الجلد.

٢-الرهبة قال تعالى:{وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} وحقيقة الرهب يكون بالهروب إلى الله.

٣-الخشية قال تعالى:{فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} خوف معه تعظيم، ويكون مبنياً على العلم بعظمة وقدرة وصفات من يخشاه، لذا قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، فالعلماء أشد الناس خشية.

٤-الإشفاق قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ}والإشفاق معه رقة في القلب.

ومن لم يشفق في هذه الحياة الدنيا من خشية الله، ينبغي له أن يخاف على نفسه ألا يكون من أهل الجنة، لأن أهل الجنة سيقولون إذا دخلوا الجنة: {إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}.

والخوف بمراتبه، سَوط يمنع العبد ويكفه عن اقتراف المحرمات، ومن تجاوز الحدود، ويحمل على أداء الفرائض، ويبعث للفرار إلى الله، والمواظبة على السير في طريق مرضاته.

فكل مخوفٍ إذا خفته هربت منه، إلا الله جل جلاله، فإنك إذا خفته هربت إليه، لأنه سبحانه أمان الخائفين، فالخائف من الله حقاً هارب إلى الله، مقبل على الله خاضع خاشع له.

*والخوف من الله سبب لمغفره الذنوب قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، ومآل الخائفين دخول الجنان: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، والنجاة من النار، فـ ((لَنْ يَلِجُ النارَ رجلٌ بكَى من خَشيَةِ الله)).

*الخائفون من الله في الدنيا هم الآمنون في الآخرة، يناديهم ربهم يومئذ فيقول: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}.

وتطمئن قلوبهم الملائكة فتقول لهم:{لا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}

فلا يجمع الله على العبد خوفين، (إن خافه في الدنيا أمنه يوم القيامة).

والخائفون في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، حرارة الخوف في الدنيا وقاهم الله بها حر الشمس في الآخرة، فالذي ذكر الله خالياً ففاضت عينه من خشية الله، والذي دعته امرأة جميلة لنفسها فقال إني أخاف الله، من السبعة الفائزين بظل الله.

فخوف الخلوات، والخوف الذي يدفعك إلى قول معاذ الله، وإني أخاف الله في وجه كل معصية، هو الذي به تستحق ظل الله يوم الدين.

الملائكة المقربون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، كانوا يخافون الله خوفاً عظيماً، قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ}، لأنهم كانوا بالله أعرف، ومن كان بالله أعرف كان منه أخشى وأخوف.

فالأنبياء والمرسلون قال الله فيهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}.

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم عن نفسه:{واللهِ لأَنَّي أَعْلَمُكم بِاللهِّ وأَشَدُّكم لَهُ خَشْيَةً} وكان إذا قام يصلي يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء من خشية الله ومخافته،

وعباد الله الصالحون، قال الله في وصفهم: {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}.

فكونوا من هؤلاء الموحدين الخائفين الخاشعين المشفقين الوجلين، وأنتم على طريق النجاة ما دمتم خائفين، فاذا زال الخوف ضللنا الطريق.

*ومن أعظم المصائب التي تصيب الواحد منا أن يعلم من نفسه تقصيراً ومعصية، ثم لا يبالي ولا يحزن على نفسه، ولا يخاف من مكر الله، ويأمن العواقب، ويتمادى ولا يسارع إلى التوبة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَن خافَ أدلجْ ومَن أدلج بلغَ المْنزل)) فمن خاف في أسفار الدنيا، حمله الخوف على حث السير في الليل والنهار ليصل.

فمن خاف الله خوفاً حقيقياً سار في الله أسرع السير إلى الله بفعل الطاعات وترك المحرمات، والمنافسة على الجنات.

والمؤمن يجمع إحساناً وخوفاً، والمنافق يجمع إساءة وأمنا فاحذروا يا عباد الله المؤمنين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين